

المسلمون



الأخوات



نحو

جَبِيلٍ مُسْلِمٍ

العلم

قِسْمَةُ الْأَسْرِ

أغسطس ١٩٥٤

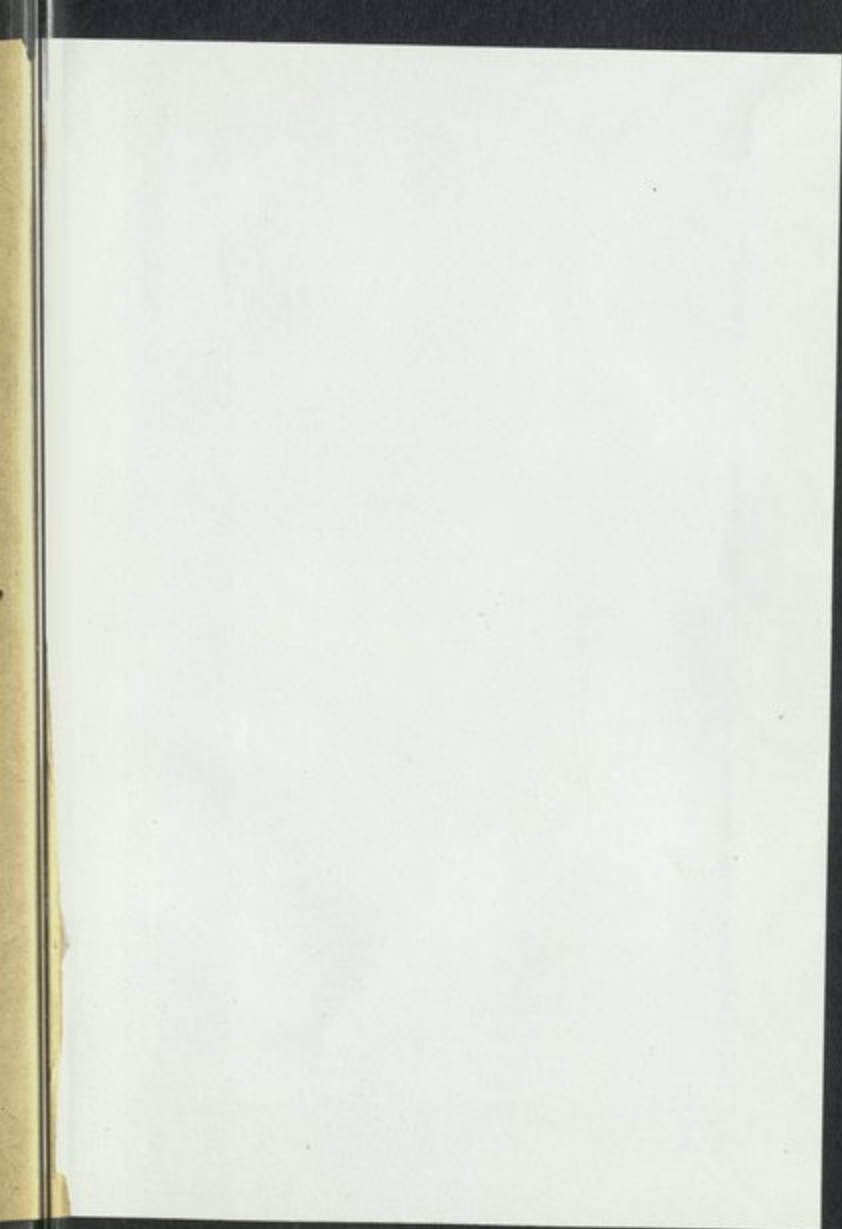
ذو الحجة ١٣٧٣

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



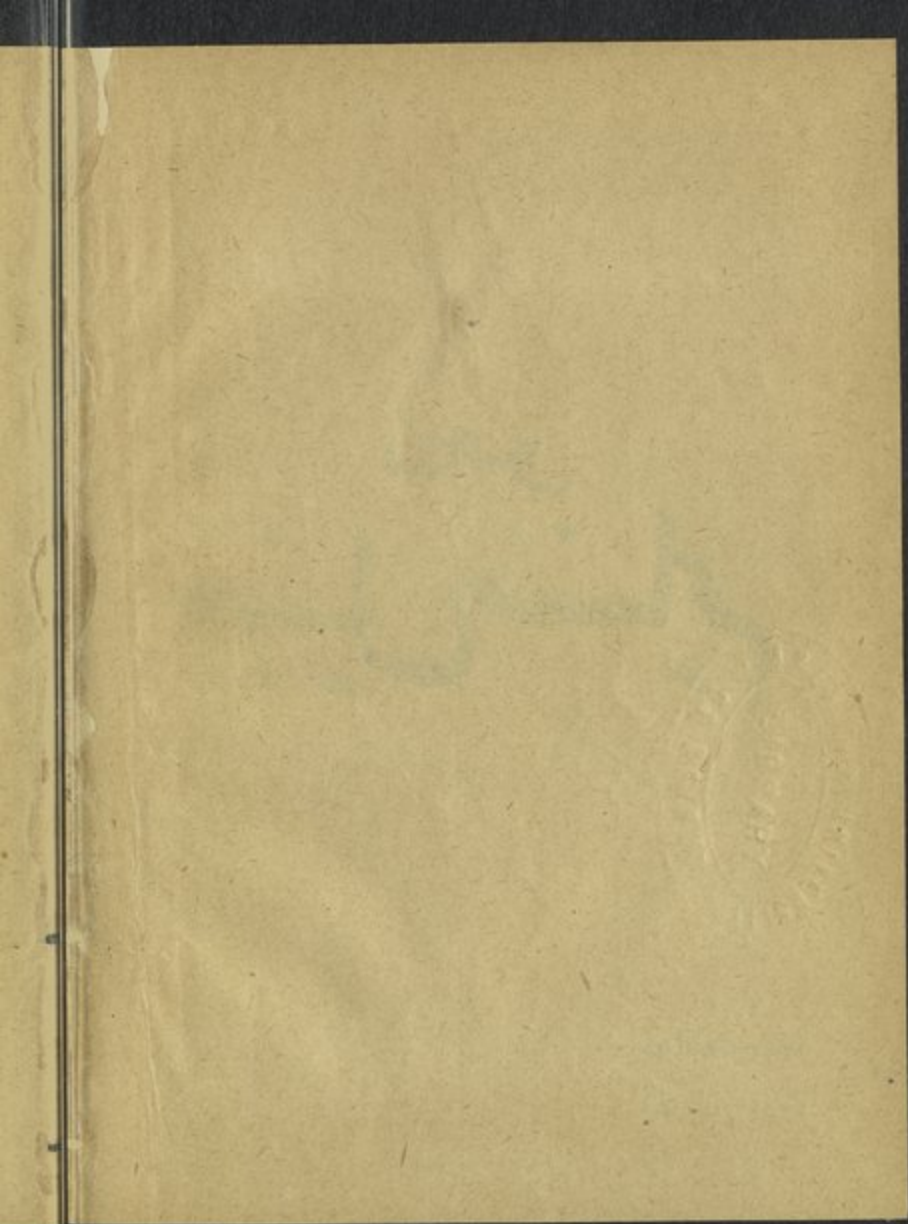
AUB. LIBRARY



297.6704
I26 n A

نحو
جَبَلِ مَسَامِ
الشم

ذو الحجة ١٣٧٣
أغسطس ١٩٥٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا
بدعوته إلى يوم الدين .

نواة هذه الرسالة محاضرة أقيمت في مدرسة النقباء بالمركز العام
بالقاهرة في أكتوبر سنة ١٩٥٣ وتشمل ثلاث نقاط :

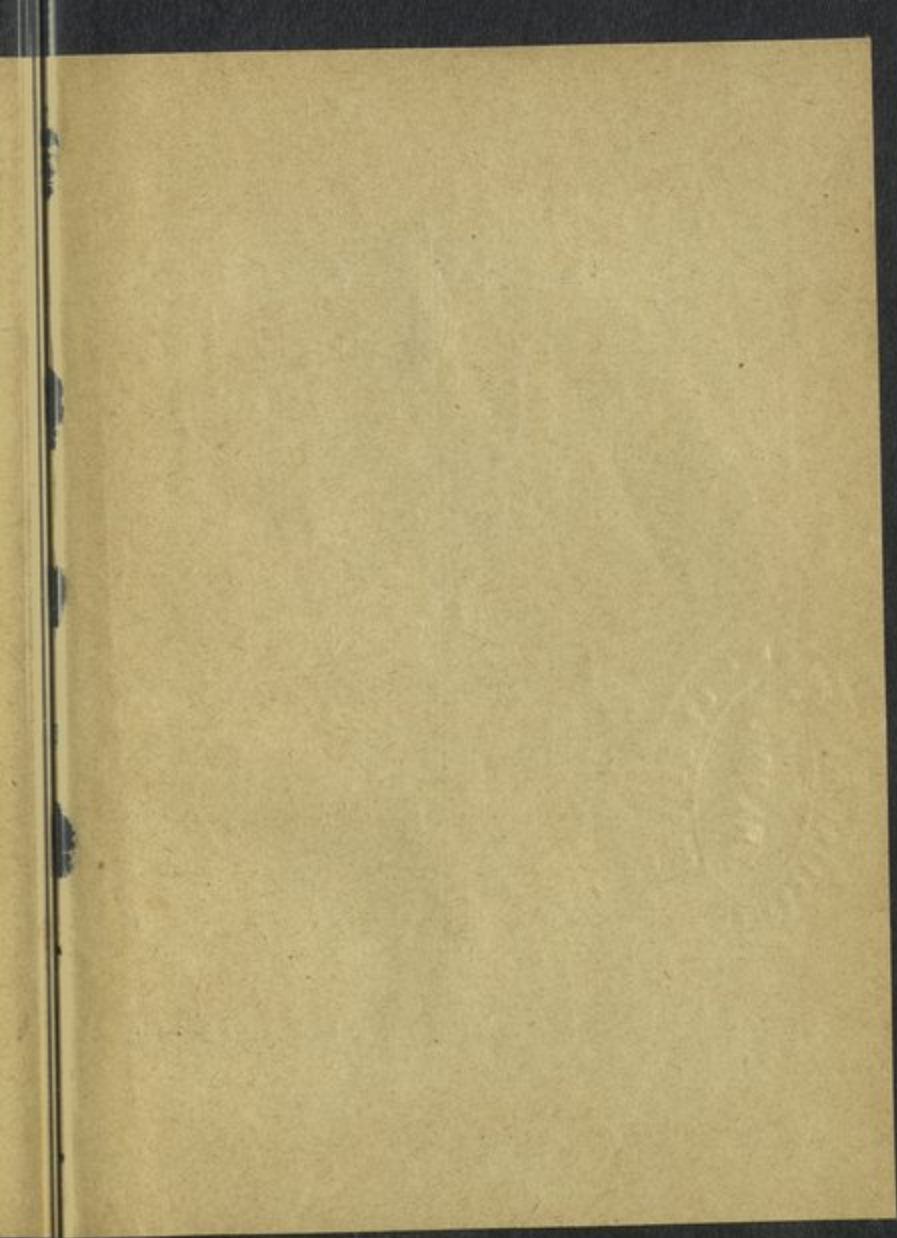
١ - الإخوان والمجتمع .

٢ - الإسلام بين القوى الاستعمارية .

٣ - خطوط عملية .

وليس من اليسير الوفاء بحق البحث التفصيلي لكل من هذه
النقاط ؛ وإنما هي إشارات سريعة تصلح لأن تكون رؤوس موضوعات
وخط سير يستعين به إخوان الأسر في اجتماعاتهم ، وقد وجهت أكبر
الاهتمام نحو الواجب ، وما أحرانا أن نهتم بواجباتنا كما نهتم بحقوقنا .
والله نسأل أن يعصمنا من فتنة القول والعمل ، وأن يجعل عملنا
خالصاً لوجهه لا نريد به علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .

قسم الأسر



الأخوان والمجتمع

تعملون أيها الإخوة أن هدف الإخوان تكوين جيل من المسلمين يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ، ويعيش به ، ويجاهد فيه ، ويجمع العقول والقلوب عليه ، ويقوم حضارة تستند إلى أسسه وتحقق أهدافه . ونحن في هذا متبعون لا مبتدعون ، لم نأت بشيء من عند أنفسنا ، وإنما نحاول التحقق بالإسلام أفراداً وجماعة . ووضح هذا الأساس يساعدنا كثيراً على اتباع الكتاب والسنة وهدى سلفنا الصالحين :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من الله وكفى بالله علماً » (١) .

ولقد كان لجهود الإخوان آثار واضحة في المجتمع المصري والإسلامي أود أن أجمال بعضها فيما يلي : —

١ — تجميع الشباب المتعلم :

ففي نظمنا التعليمية المصرية يتميز تياران :

١ — ديني : يمثله الأزهر بتاريخه الحافل الطويل وكنيائه ومعاهده في القاهرة والأقاليم وأبنائه الذين يتجمعون من مشارق

الأرض ومغاربها؛ يقضون في رحابه فترات تطول أو تقصر، ثم يندفعون من هذا القلب دماء حارة تغذى العالم الإسلامي.

ب — ومدني : تمثله الجامعات ومجموعة ضخمة من المدارس والمعاهد منتشرة في القطر . وتستقبل جامعاتنا الآن أعداداً كبيرة من أبناء العروبة والإسلام يتثقفون بثقافتها ويتأثرون بطابعها .

وقد حاول الاستعمار — تؤيده في ذلك عهود الظلم البائدة — أن يوقع العداوة والبغضاء بين شباب الأمة المتعلم ، وأن يوجد فجوة بين النظامين لا يُرجى معها اتفاق ولا تعاون ، وظهر من أبناء الجامعات من حمل أعنف الحملات على الأزهر ، ومن أبناء الأزهر من اشتد في هجومه على الجامعات ، وسالت أنهار الصحف بمقالات نارية عن التجديد والجمود ، والتقدم والرجعية ، والإيمان والإلحاد ، خرج بعضها عن مجال البحث العلمي إلى المهارات والفكاهات والدسائس ، ونفخ في كور الفتنة صحفيون متحلقون وكتاب إباحيون . ورغم هذا الغبار المتطاير كان هناك نفر من أبناء الأزهر والجامعات حافظوا على الدين حياً في نفوسهم وعقولهم ، وتكونت منهم طليعة نرجو أن تدها الأيام بما يدعمها في الروح والعدد والإنتاج .

وقد ظل أثر هذه الطليعة قاصراً — إلى حد بعيد — على المجالات العلمية دون أن يصل إلى توثيق الصلات العامة بين كتل المتعلمين نفسها ، وقام الإخوان — ولله الحمد والمنة — بجانب كبير في هذا

الأمر ، واستطاعوا أن يقيموا المعابر فوق الهوة السحيقة ، وهأنتم أولاء ترون في اجتماعاتكم - أيها الإخوة - كيف يتعاون شباب الأزهر والجامعات من أجل الهدف الواحد ، ويعطى كل أخ إخوانه من خير ما عنده ، وعشتم معاً في الشعب والمعسكرات ، وسكنتم معاً ، وجاهدتم معاً . وذلك من فضل الله عليكم وعلى الناس » لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ^(١) .

٢ - تجميع الأمة :

واتسمت حركة الإخوان من أول الأمر بتجميع العناصر الصالحة من أبناء الأمة جميعاً ، وفي اجتماعاتنا ترى الغنى والفقير ، والموظف والعامل ، والمتعلم والأُمي ، وأستاذ الجامعة والطالب ، والشيخ والشاب ؛ يجمعهم حب الإسلام والرغبة الصادقة في تعلمه والعمل به ونشره بين الناس .

٣ - الاتجاه التطبيقي :

ولم يكتف الإخوان بالحديث عن الإسلام وتصويره ، وإنما حاولوا من أول الأمر تطبيقه على أنفسهم . ولعل هذه الناحية كانت من أقوى ما جمع القلوب عليهم .

(١) الأنفال : ٦٣

وجاءت معارك فلسطين والقنال نماذج كريمة لجهاد الإخوان ،
وتقدم زهرة شبابهم من أبناء الجامعة والأزهر والعمال والزراع ،
غاضوا المواقع معاً ، وهناك على سفوح جبال فلسطين ووديانها ، وفوق
رمال القنال اختلطت دماؤهم وأشلائهم .

وأخذت حياة الإخوان مظهراً عملياً في تكوين الأسرة المسلمة ،
وتنشئة جيل من الأبناء على حب الإسلام والعمل به ، وأصبح الرضيع
يسمع كلمة الإسلام في مهده ، ويهتف بها الصبي في ملعبه ، ويجاهد لها
الشباب في مجالاته ، ويبشر بها الشيخ ويسلمها أمانة عزيزة لجيل مقبل .
وعندما ابتلى الإخوان بعد معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وفتحت
السجون والاعتقالات أبوابها لتلقى زهرة شباب الأمة ، وحيل بين الأب
وولده ، والشاب وأهله ، والطالب ومعهده ، والعامل ومصنعه ،
والزارع وحقله ؛ كان الإخوان يقتسمون مؤنهم ، وتقدمت الأخوات
في تلك الأيام التي لطخها الظلم - تحفظهن عين الله التي لا تغفل ولا تنام -
يحملن العزاء إلى قلوب أرهقها البلاء ، والمال إلى بيوت غاب رجالها ،
فكن نجوماً مضيئة أشرقت في ليل حالك الظلام .

وجاء تاريخ المحنة ثباتاً في ميادين متنوعة البلاء افتقدت الثابتين
من وقت طويل ، واحتمالا كريماً للأذى خشع أمامه بصر الجلال ،
وفناء في ذات الله عز على فتن الأرض أن تستهويه ، وعاش الإخوان
في « الليمان » يحرون سلاسلهم ، وفي السجون تقطع السياط ظهورهم ،

وفي المعتقلات يحوم الموت حولهم ، وفي المنافي يسلمهم المهجر إلى مهجر...
عاشوا في هذه الفترة لا يرجون إلا وجه ربهم ذا كرين قول نبهم
عليه الصلاة والسلام : « إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي » (١) .
٤ — الثقافة الإسلامية :

وبينما كان جمهور شباب الأمة لاهياً في الروايات الرخيصة ،
والقصص النافهة التي تخاطب الغرائز وتستثير الشهوات ، قوَّى اتجاه
إسلامي يضع في أيدي الأبناء كتب الأبوة الماجدة ، وتعلم شبابنا كيف
يحسن تلاوة كتاب الله ، ويطلع على كتب التفسير والحديث والتشريع
والتاريخ الإسلامي ؛ يستمد من ذلك كله أسس اتجاهه في حياته ،
محاولاً أن يوجه الحياة إلى الهدى الذي وضعه رب الناس للناس ،
محتفظاً بموقف متزن بين ماضٍ كريم وحضارات مقبلة ؛ يأخذ خير
ما فيها ، ويحول دون طغيان مفسدها على أرضه وعقله ، واستطاع
الإخوان أن يقوموا بقسط كبير في تدعيم الاتجاه الإسلامي ، وأوجدوا
صحافة إسلامية ومؤلفات إسلامية ، وعقولاً تجعل الإسلام محور
تفكيرها .

صحيح أن هذه العقول لم تتجمع في مدرسة فكرية اتضحت
مناهجها ، وأن عدداً كبيراً من الذين يعملون بإخلاص في هذا الميدان

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦١ ط الحلبي .

لا زالوا شباباً محتاجين إلى صقل وطول تمرّس ورعاية ، ولكن الذي لا ريب فيه أن بذوراً كريمة أُلقيت في الأرض الطيبة ، ورواداً خالصين يحبّون منطقة الكنز القديم ، ويحاولون أن يذودوا الطير الغريب عن أرضهم ، وأن يطهروا ديارهم للصالحين .

٥ - العالم الإسلامي :

وعبرت الموجه المؤمنة حدود مصر يحملها جهاد الإخوان ، ويشر بها شباب العالم الإسلامي من أبناء الأزهر والجامعات ، وبدأت تتساقط أستار القوميات الضيقة أمام الإسلام الزاحف ، وأصبحنا نرى في مجتمعاتنا الشباب الإسلامي من إفريقيا وآسيا وأوربا لا تستخفهم عصبية محلية ، بل يجمع بينهم الإسلام ، واستروحنا العبير الجميل الذي يتضوع حين نقرأ قول الرسول عليه السلام ؛ واصفاً تجمع الدنيا وإخاءها في المجتمع الإسلامي الأول « أناسا بق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبش » (١) .

وبدت مظاهر التعاون الثقافي بين الإخوان والهيئات الإسلامية العاملة ، فنقلت إلى العربية مؤلفات السيد أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بباكستان ، ونشرت بعض آثار المرحومين السيد

(١) رواه الحاكم عن أنس « الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ١٠٧ ط الحلبي » .

سليمان الندوى^(١) ، والسيد مسعود الندوى ، كما ترجمت في باكستان
والهند وأندونيسيا بعض رسائل الأستاذ البنا رحمه الله ، وبعض رسائل
كتاب الإخوان .

وتعاونت الهيئات الإسلامية معاً في القضايا الإسلامية ، وأصبح
المركز العام مثابة للعاملين ؛ يجدون فيه رجالاً يحبون أن يعملوا
لدينهم ، وتنعكس على نفوسهم آمال الأمة الإسلامية وآلامها .

الأمة الإسلامية

(١) مثال ذلك (الرسالة المحمدية) للسيد سليمان الندوى وهى ثمانى
محاضرات فى السيرة النبوية ، ورسالة (الإسلام) وهى رسالة ممتازة نشرها
المركز العام عام ١٣٧٢ هـ ويحسن أن يقرأها الإخوان فى اجتماعات الأسر .

الاسلام
بين القوى الاستعمارية

وهذا الإنتاج الذى وصلتكم إليه ، إنما هو ثمرة جهودكم جميعاً ،
ونتيجة طبيعية لإحساسكم بحق الله عليكم ، فأنتم تعملون من أجل
دينكم ؛ غير طامعين فى منصب فى الجماعة ، ولا جاه بين إخوانكم
أو بين الناس ، لا تخشون أحداً إلا الله ، وتقولون الحق لا تخافون
لومة لأثم ، لا تعبدون أفراداً ، ولا تقدسون مناصب ، ولا تعظمون
إلا من عزّ فى ميزان التقوى ، ولا تُتبعون إتفاقكم مناً ولا أذى -
أحسبكم كذلك ولا أركى على الله أحداً - .

من قديم :

١ - وأود أن تذكروا دائماً موقف القوى الاستعمارية من
جهادكم ، فأنتم تقابلون بعداوات مريعة من كل أعداء دينكم ؛ الذين
يحدون فى الإسلام حائلاً دون تحقيق مطامعهم فى أرضكم .

هذه العداوات التى تمتد جذورها إلى صدر الإسلام حينما دبر
اليهود السكيدة بعد السكيدة ، وتعاونوا مع المنافقين والمشركين
فى محاربة الإسلام . فقد حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالقاء
حجر على رأسه عندما كان فى بنى النضير ، وقدموا إليه شاة مسمومة
بعد فتح خيبر . وبقي الرسول بعدها ثلاث سنوات حتى كان وجعه
الذى توفى فيه فقال « ما زلت أجد من الأكلة التى أكلتُ من الشاة
يوم خيبر عداداً^(١) ؛ حتى كان هذا أوان انقطاع أبهرى^(٢) » فتوفى

(١) العداد : ألم يعاود فى أوقات معلومة . ابن الأثير : النهاية فى غريب
الحديث والأثر ج ٣ ص ٧١ . (٢) عرق يؤدى انقطاعه إلى الموت .

رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً^(١) .

وتعرض النبي صلى الله عليه وسلم من قبل لخطر الموت أكثر من مرة في مكة والهجرة والمغازي ، وحاول اليهود التشكيك في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم . واقرءوا الكثير من مكائدهم في سورة براءة ، وفيها تحليل رائع لمجتمع المدينة . وقاموا بدور كبير في تأليب الأمصار على عثمان رضى الله عنه ، وتولى عبد الله بن سبأ اليهودي كبر هذه الفتنة ، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر ، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، قبالثوا على ذلك وتكاتبوا فيه ، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان^(٢) . . .

وعلت الموجة المسمومة حتى طوت ذا النورين ، وسجلت في تاريخ الإسلام صفحة دامية تركت أثرها العميق في نفوس أبنائه .

٢ — وبعد هزيمة الفرس والروم ظلت الحروب قائمة بين أصحاب المجد القديم والدين الزاحف المنتصر ؛ تأخذ صوراً عنيفة في ميدان القتال ، أو تتستر وراء المذاهب الهدامة التي تحاول أن تعود بالمسلمين إلى الجاهلية مرة أخرى ، ورأى الإسلام فرقاً ومذاهب يحمل أهلها اسم الإسلام ، أما عقائدهم وطقوس عبادتهم فيمكن — في سهولة — أن تربطها بوثنيات فارس والهند ، واتجاهات المسيحية واليهودية وعقائد الإغريق والرومان .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢١٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٨ .

٣ — وقابل الإسلام طغيان أوربا وزحفها على دياره زحفاً بربرياً؛ وصفه كاتب غربي فقال « إن الصليبيين ارتكبوا جرائم وفظائع جعلت الطبيعة تهتز خوفاً وفزعاً من هولها ، كذلك كانوا يقتلون الأطفال في أحضان أمهاتهم ، وينثرون أشلاءهم في الهواء^(١) » ، وجمعت هذه الحملات بين المتحمسين الذين يعتقدون في قداسة جهادهم وبين نفر « انهمكوا في الدعارة ، ونسوا بيت المقدس ، وراحوا يمثلون مناظر صاخبة من هتك الأعراض إلى النهب والقتل ، وكانت جميع هذه الفظائع تترك آثاراً فاضحة تدل على فعالهم أينما رحلوا^(٢) » .

ولم تفقد هذه الأحداث المسلمين أزيانهم ، فقد ظلوا على خلق رفيع يصفه كاتب غربي فيقول « إن كثيراً من المسيحيين الذين غادروا بيت المقدس [بعد انتصار صلاح الدين] رحلوا إلى أنطاكية ، غير أن يوهيمند أميرها لم يحرمهم الضيافة فحسب ، بل سلبهم أيضاً أموالهم في حين كان هؤلاء البائسون أينما ساروا في بلاد المسلمين يلاقون ضروب العطف والكرم » .

٤ — ويقابل الإسلام بعد هذا موجات التتار ومصائب القرامطة؛ التي وصلت إلى أن قتلوا الحبيص وألقوا جثثهم في بئر زمزم ، واقتلوا الحجر الأسود ، وبقي عندهم اثنتان وعشرين سنة^(٣) .

(١) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي من ٢٢٨ وما بعدها (الترجمة العربية) .

(٢) المرجع السابق من ٣٠٨ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ من ١٦٠ .

٥ - وحينا انحسر المد الإسلامي بسقوط الأندلس اشتد الهجوم على أرض الإسلام ، واستطاعت قوى الغرب في القرون الأخيرة أن تقسم أرض الإسلام ؛ بعد أن مهدت لذلك ببعثات من المبشرين والمستكشفين والعلماء والتجار .

الصهيونية :

ولقد ظل اليهود على صبرهم حتى استطاعوا - بمعونة الدول الكبرى - أن يقيموا إسرائيل في قلب العالم الإسلامي ، ولا يزالون يطالبون بملسكهم القديم الذي كان يمتد من الفرات إلى النيل ، وتطلعت أبصارهم إلى تقطعهم التجارية القديمة في بلاد العرب وبصفة خاصة في المدينة المنورة .

وهأنتم أولاء ترون تطور الأحداث في الشرق الأوسط ، وما يحمل في طياته من نذر . واليهود لا يعرفون الأخلاق وهم الذين يقودون حملات التحلل الأخلاقي والفجور ، ويبشون عملاءهم من علماء وتجار وراقصات وسيدات (الطبقة العليا) ، أما شعارهم فهو « القوة والرياء » ولا يكتب الفوز في السياسة إلا للقوة ؛ لاسيما إذا كانت كامنة بين المناقب اللازمة لرجال الحكم ، فيقتضى الأمر - إذاً - أن يتخذ العنف مبدأ ، والمكر والرياء قاعدة ، وهذا الشر هو الذي يؤدي بنا إلى الخير ؛ لذلك لا ينبغي أن نحجم عن اللجوء إلى الرشوة والخداع والحيانة في سبيل بلوغ مآربنا ، والسياسة تقضى بالإقدام دون تردد على

اغتصاب ملكية الغير إذا كان فيها ما يؤمن لنا الخضوع والطاعة^(١). وهذا النص يلقى ضوءاً قوياً على ما بين أيدينا من محن ، ويرينا القيمة الحقيقية لأى تفاهم « ودى شريف !! » مع إسرائيل ، ويحدد المهاج الوحيد الذى يجب على الإسلام أن يتبعه إزاء الصهيونية .

الاستعمار الغربى :

ورغم كل ما ينادى به ساسة الغرب من تعاون وإنسانية عالمية ؛ فإن حتماتق الأحداث التى تمر فيها ترينا ما يراد بنا وما يجب علينا ، فلا زال الإنجليز جاثمين على أنفاسنا « فى القنال » ويسيطرون سيطرة تكاد تكون كاملة على كثير من الدول الإسلامية ، وذلك عن طريق المعاهدات وكبار الموظفين الذين ينتسبون إلينا شكلا وإليهم موضوعا ، والشركات الاستغلالية الكبيرة خصوصاً فى نواحي الثروة المعدنية والزراعية

والجندى على استعداد إذا لزم الأمر : فقد دفعت أمريكا بزهرة شبابها إلى تلوج كوريا .

وتفود بريطانيا حرباً إرهابية فى وسط إفريقيا ، ويلقى إخواننا المجاهدون فى شمال إفريقيا أياماً دامية فى سبيل حريتهم ، ويعيش (اللاجئون) على أطراف فلسطين رموزاً حية للحضار الأوروبية ..!

(١) أهداف الصهيونية : تعريب فردريك رزبى ص ٧ . وهذا الكتاب مجموعة محاضرات عن (مناهج حكماء صهيون) وقد ألفيت فى مؤتمر الجمعيات الصهيونية الذى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م . وكانت معتبرة من أخطر الوثائق السرية للصهيونية وأحدث نشرها ضجة كبيرة .

بين المعسكرين :

وقد كاد النزاع في العالم القديم يفرغ بين المعسكرين الكبيرين على الوحدات السياسية خارج العالم الإسلامي ، وستبقى أرضنا ميدان الصراع المقبل ؛ يساعد على هذا وضعها الجغرافي ، وامتدادها كالمعبر الضخم بين المحيطين الأطلسي والهادي ، و (البترول) السكمن في أرضها ، وملايين البشر الذين يضطربون فوقها ، والعقيدة القوية التي يعتنقها أهلها ، ويجتهدون في نشرها خصوصاً في قلب إفريقيا ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن مستقبل السلام مرتبط بالإسلام ، وإن عقيدتنا هي التي تملك - وحدها - مقومات البقاء الحقيقي لو وجدت رجالاً !!

ماذا يقولون عنا ؟

من أجل ذلك تدرس هذه المعسكرات العالمية الوعي الإسلامي دراسة دقيقة ، وتهتم بالحركات العاملة له ، ومما يدعو إلى الأسف - وإن كان لا يدعو إلى العجب - أن نرى المهجوم السافر على الإخوان المسلمين في مؤلفات (علماء) أبسط ما يفرض فيهم الأمانة العلمية !! وقد نظم معهد الشرق الأوسط في واشنطن مؤتمراً في مارس سنة ١٩٥١ ألقى فيه بحوث كانت نموذجاً لما يقولون عنا . . ومن ذلك ما جاء في بحث الدكتور فيليب حتى عن دراسة الوحدة الإسلامية

« ويمثل هذه الرجعية أيضاً حركة الوحدة الإسلامية ، وفي حين تحاول الوحدة العربية أن تجعل من اللغة والثقافة الوحدة المشتركة ؛ فإن الوحدة الإسلامية تجعل الدين هذه الوحدة المشتركة ، فالوحدة الإسلامية تنظر إلى الوراء والوحدة العربية تنظر إلى الأمام ، الوحدة الإسلامية تستلهم الأفكار التي ترجع إلى القرون الوسطى ، فهي مخالفة للغرب ومخالفة للديمقراطية ، والإخوان المسلمون يمثلون هذه الحركة في أسوأ مظاهرها » (١) .

ويقول الدكتور ونديل كيلاند عن الحركات القومية :

« إن بعض العناصر المحافظة تحاول أن تبذل جهداً في توجيه هذه الحركات نحو المثل القديمة الساذجة ، فنحن نسمع أحياناً عن ظهور شخص يريد أن يكون المهدي ، وقد سمعنا منذ حين إشارات إلى حركات كالإخوان المسلمين » (٢) .

ولكن الغرب - برغم هذا الهجوم - يعترف بأثر الإخوان في الحياة العامة في مصر ، ففي كتاب ضخم عنوانه « دليل الرجل الذكي في عالم ما بعد الحرب » عقد الأستاذ « كول » - مؤلف الكتاب - فصلاً عن مشكلات مصر ، وذكر فيه أن عدم توقيع معاهدة بين مصر وبريطانيا لا يرجع إلى رفض الزعماء المصريين ذلك ، ولكن

(١) الإسلام في نظر الغرب . ترجمة الدكتور إسحاق موسى الحسيني
ص ١١ ، ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤ .

إلى ظهور « وعى وطنى دينى » يحول بين الزعماء وتوقيع معاهدة لا تحقق آمال البلاد» (١) .

وتبذل القوى الاستعمارية والطامعة جهوداً كبيرة منظمة لتهديب الإسلام ! وتريد هدفاً من اثنين :

- (١) إحلال الأفكار المادية محله كما تنادى بذلك الشيوعية ،
- (٢) تحويل الإسلام إلى دين فردى كهنوتى لا علاقة له بالحياة العامة والكفاح الإيجابى ، وفى سبيل ذلك تشجع المذاهب (المستأنسة) التى لا تعرف الجهاد ، والتى تنتسب ظمناً إلى الإسلام كالفاديانية والبهائية (٢) .

فنحن نؤمن أن ديننا أساس حياتنا وحضارتنا ، وهم يرون تنحية الإسلام عن وضعه الأساسى ، واعتباره مظهراً اجتماعياً إذا أصررنا على وجوده .

ويتخذ كفاحهم ضد الإسلام والحركات التحريرية صوراً متعددة ؛ نذكر بعضها فيما يلى :

- ١ - هناك - أولاً - الاتجاه الدراسى العلمى الذى يرمى إلى جمع كل ما يمكن جمعه من المعلومات الدقيقة عن الحركات الإسلامية .
- ٢ - والاتجاه النقدى الذى يستتر وراء البحث المجرد ؛ ليهدم

(١) صدر هذا الكتاب عام ١٩٤٨ وجاء هذا النص فى ص ٩٤١ .

(٢) راجع رسالة (المسألة الفاديانية) للأستاذ اليهودى نشرتها بالعربية لجنة الشباب المسلم بمصر .

مقدسات الإسلام وليؤكد استحالة تطبيقه وضرورة تطويره وتهذيبه ،
والتهوين من شأن تاريخنا وإرجاعه إلى أسباب مادية محدودة ، وقد
رأينا نماذج من أقوال فيليب حتى ووندل كليلاند .

٣ - التبشير بمعالم حضارة جديدة لها مقوماتها الخاصة . ولكل
من الشيوعيين والعسكر الغربي - بفرقه المتعددة - مناهجه المتميزة ،
ومن أوضح مظاهرها الغزو الفكري المنظم الذي تقوم به أمريكا
الآن في العالم الإسلامي ، ويمثله الطوفان العالى من الكتب والمجلات
والمبعوثين الثقافيين .

٤ - السيطرة الاقتصادية باسم المعونة الفنية ، وما ورائها من
امتداد النفوذ السياسى ودوران الدول في الفلك الاستعماري .

٥ - الكفاح المسلح السافر الذي نراه في كوريا وكينيا والمغرب
والهند الصينية .

٦ - الإبادة المنظمة كما نراها في مشكلة اللاجئين ، وضحايا
معركة فلسطين وقضية البرعى ، وكما حدث في ليبيا وشمال إفريقيا .

والذى لا ريب فيه أن الاستعمار - في كل صورهِ - يسعده أن
يتخلص من الإخوان المسلمين ، والجماعات العاملة في العالم الإسلامى
- بأى طريق من طرق التخلص - ، ويسعده جداً أن يحيا
المسلمون أفراداً لا تربطهم روابط ، أشتاناً لا تنتظمهم جماعات ،
مضطربين لا تنتظمهم وحدة فكرية ، متكلمين لا يدفعون يدأ
عنهم ، مكتفين بالاستنكار والاحتجاج . . . وما أهون !!

خُطُوطٌ عَمَلِيَّةٌ

- ١- هذا الفتور:
ما أسبابه ؟
وما علاجه ؟
- ٢- أخلاقنا
- ٣- مناهجنا

من هذا العرض السريع نستطيع أن نرى بعض مظاهر نشاط
الإخوان في تجميع القوة الإسلامية ، وتوجيهها وجهة عملية منتجة ،
ويقف قوى التيار فاهتم به الاستعمار ، وكاد له مرة بعد مرة
« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » (١) .
وما أحرانا — في هذه المرحلة من تاريخنا — أن نذكر واجبنا ،
ونحاول تخطيط الطريق ، ففعل في ذلك تبصرة وذكري .

من المحتاج ؟

والسؤال الأول الذي ينبغي أن يوجهه كل منا إلى نفسه هو :
من المحتاج إلى الآخر : أنا أم الإسلام ؟
وقد يبدو الأمر بديهياً ، ولكن قد تمر على الإنسان فترة يحتاج
فيها إلى مراجعة البديهيات في أمر دينه .
والله سبحانه وتعالى وضح هذا الأمر في كتابه العزيز فقال موجهاً
الخطاب إلى نفر من أصحاب النبي عليه السلام : « يا أيها الذين آمنوا
ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقنتم إلى الأرض أرضيتم
بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل .
إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً
والله على كل شيء قدير » (٢) .

(١) البقرة : ٢١٧ .

(٢) التوبة : ٣٨ - ٣٩ .

وفي آية أخرى يقول ربنا عن البذل والإنفاق : « هاتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (١) .

الافتقار إلى الله :

فإذا سرى هذا في نفوسنا ، وتذكرنا دائماً أن لله عبادةً غيرنا وليس لنا رب سواه ؛ قوى إحساسنا بالافتقار إلى الله ، وطال وقوفنا بين يديه ، نسأله القوة والعون ، وفرغت نفوسنا من حب الدنيا وخوف الظالم ، والحرص على المنصب والجاه وتملق القادة والجمهير ، فإننا نؤمن أن أحداً منا لا يدرى حين يصبح هل يدركه المساء وحين يمسي هل يدركه الصباح ، وأن الله قائم على كل نفس بما كسبت ومجازيها بما عملت .

هذا الافتقار إلى الله ليس أمراً سلبياً في حياة الأفراد ، وإنما هو استغناء بالله عن سواه يدفع إلى العمل والإنتاج الخالص القوي ؛ الذي لا ترتفع إلى آفاقه رهبة ولا رغبة إلا لله وفيما عنده ، والناس من وراء ذلك تراب حتى يسير فوق تراب ميت ، فهل تحقق هذا فينا ؟

(١) عمده : ٣٨ .

١ - هذا الفتور

ما أسبابه ؟

واسمحوا لي أيها الإخوة أن أكون معكم في هذه الرسالة صريحاً إلى حد قد يؤلمكم ، وضيق به بعضكم ، فمن الخير أن تتكاشف فذلك خير وأولى من ترك العلل تسرى في الجسم دون تشخيص وعلاج .
إنني أرى أحياناً مظاهر الفتور تعرف بعض الذين يعملون في الجماعة ، وينعكس على نشاطها العام : وأمام هذا تتشعب بنا السبل .

١ - فقد نحاول الآن التهرب من المشكلة أو تخفيف وقعها ، فنعتذر بمشكلات الحياة اليومية وضغط ظروف المعيشة ، وقلة الوقت الذي نستطيع أن نخصه للعمل في الجماعة ، وفي الوقت نفسه نحمل المركز العام والإخوان (المسئولين) عبء الصغير والكبير ، ونسمع من هنا وهناك : زريد البراميج .. والكتائب .. أين الدعاة والخطباء ؟ وتعتمد الشعبة على المنطقة فتحول الخطاب إلى المكتب الإداري الذي يؤثر بتحويله إلى المركز العام ، فيحوله إلى عدد محدود من الأفراد ؛ ترهقهم أعباء لا يمكن التغلب عليها إلا بالتعاون الصادق بين مجموعة أكبر عدداً ، وأعمق فهماً وأكثر تفرغاً .

٢ - وقد يكون فينا - كلنا أو معظمنا - الإقبال الحقيقي على العمل ، فننتزع أنفسنا من دوامة الأحداث اليومية ، ونقتطع من

وقتنا وقوتنا ما ندعم به أمر ديننا ، ونحاول أن نصنع لعقيدتنا حاضراً كريماً يربطها بماض كريم فنرى العقبات التي بين أيدينا معالم الطريق الذي نجتاز ، مستمدين العون من الله ، وقد اعتصمنا بالعزائم ولم نعتذر بالترخص ، وننسق جهودنا على أساس سليم ، وبأسلوب محكم يحقق لنا أهدافنا .

ومع أننا جميعاً نحب الطريق الثانية ، ونهتف لها إذا سمعناها حديثاً من خطيب ، أو قرأناها مقالاً لكاتب ، إلا إن أمر التطبيق يحتاج منا إلى عزائم لا تعرف الضعف ، وصبر لا يعرف الملل .

وأود أن أتناول قضية « الفتور » هذه تناولاً موضوعياً ، ونحاول بعد التشخيص أن نصل إلى المخرج السليم مهما بدا طريقه صعباً طويلاً ، فلمهم أن نسير على صواب ؛ ليصل الإسلام إلى غايته لا أن تصل ذواتنا ، ولا يستطيع عاقل أن يقول إننا في طرفة عين نستطيع أن نصنع الكثير ، فليست بين أيدينا عصا موسى نضرب بها الحجر فيتفجر منه الماء ، أو نشير بها إلى الماء فيصبح طريقاً ييسراً .

١ - الفهم :

ولعل أهم الأسباب التي تؤدي بالفرد إلى الفتور عدم فهم الدين نفسه ، وقد يبدو هذا غريباً أول الأمر ، ولكن الأغرب منه أن تتصور مسلماً ذاق حلاوة الإيمان ، وفهم دينه فهماً صحيحاً ، ثم ينصرف عن العمل في ميدانه ، وأقصد هنا الفهم المعتمد على الكتاب

والسنة ، والذي يستطيع أن يقيم في ذهن الأخ المعالم الرئيسية للحياة الإنسانية كما يريد الإسلام .

إن الإنسان إذا اتضحت أمام ذهنه هذه الحقائق صعب عليه - أو استحال - أن يحيا دون إسلام ، ووجد نفسه مدفوعاً - بصدق - إلى البحث عن المجموعات العاملة في هذا الميدان يهتدى بهداهم ، ويصلح أخطاءهم ، ويتعاون معهم على الوصول إلى الحق .

ويتصل بأمر الفهم أيضاً ما يصيب الأخ من « ملال » من كثرة ما يسمع من حديث مكرر في الاجتماعات والحفلات والمؤتمرات ، فيحس أنه يعيش في دائرة ضيقة لا تتسع ، وأنه يدور في حلقة مفرغة ، وقد تكفيه هذه الأحاديث سنة أو أكثر أو أقل ، ولكنها - وحدها - لا تكفي أن تظل مادة فكرة بعد وقت طويل .

والأخ في هذه المرحلة على مفرق طرق :

(أ) إما أن يتولاه السأم من أمره وممن حوله ، فلا يواظب على حضور المحاضرات والكتائب والأسر ، وترأخى صلته بإخوانه ثم تقل وقد تنقطع .

(ب) وإما أن يكون أخاً يقطاً ؛ لا يعتمد على ما يسمع غيب ، ولكن على تحصيله ، فتفتح أمامه - بجهوده - أبواب من المعرفة الإسلامية تزيد إيماناً بما يؤمن به ، واستمساكاً بالحق الذي يعيش به وله . . هذا إذا كانت صلته بالمصادر الأصلية الصحيحة ، وقد يقع في

أسر بعض الكتب التي تصور الإسلام تصويراً مشوهاً ، فيكون من وراء ذلك خطر على نفسه وعلى من يتصل بهم ويؤثر فيهم .

والقراءة - من ناحية أخرى - قد تستولى على معظم وقت الأخ وتفكيره ، فتحول دون اتصاله بالنظم بإخوانه ، ويتحول نشاطه إلى تكوين نفسه والعناية بها ؛ عناية قد تصرفه عن مساعدة إخوانه ، والأخذ بيد البادئ والتعاون مع الزميل والاسترشاد برأى الكبير . ويصل أحياناً إلى مرحلة يكاد يكون من الصعب فيها التمييز الدقيق بين التكوين الفردي من ناحية ، والترف العقلي وإيثار الراحة بين الكتب والأهل من ناحية أخرى ، وفي هذا يحتاج الأخ إلى مراجعة تصرفاته وتنظيم وقته ؛ ليستطيع إيجاد توازن بين التكوين والعمل في المجموعة .

والمفروض أن تكون الجماعة - بأنظمتها - بيئة صالحة يتعاون فيها أفراد يحاولون أن يتخذوا إلى ربهم سبيلاً ، وهي حقل يغرسون فيه بذور الإسلام ويتعهدونها حتى تثمر ، فيزداد يقينهم بصلاحياتها أساساً للحياة . فهل يستطيع إخوان الأسر أن يكوّنوا هذه البيئة الصالحة ؟ ..

٢ - بروق المطامع :

وقد يُقبل الأخ على العمل لدينه ، ويستشعر الأنس بنماذج تعمل معه في الميدان ؛ ويسمع عن فلان وفلان . . هذا خطيب . . وهذا

كاتب . . وهذا مسئول . . ويراهم على المنابر يرسلون الصواعق ، أو
ينقلونه إلى جوهادهى جميل ، وتمر الأيام والشهور والأعوام فإذا به
يزداد اتصالاً بهم ، ويبدأ فى إدراك بعض الحقائق المرة ، ويرى بعض
من كان يشق فيهم ذواتاً تضطرب فى نفوسهم نوازع الدنيا ، ويحس
الفارق الضخم بين أقوالهم وأفعالهم فيُسفِج ! ، ويزداد إحساسه
بالفجيرة كلما كان أصفى قلباً وأطهر معدناً وأشد اندفاعاً ، وتضيق
نفسه . . . وتضيق ! ويفضل أن ينصرف عن إخوانه إلى حياته الخاصة
يدبر أمرها دون أن يتحمل تبعه عابث أو منافق عليم اللسان ! !

٣ — الأبحاد والمشكلات :

وناحية أخرى تمتص حيوتنا امتصاصاً رهيباً ، وهى إضاعة
الوقت فى الحديث عن أبحاد الجماعة ومشكلاتها ، وأود ألا تعجبوا من
وضع الأبحاد والمشكلات فى قائمة واحدة ؛ فكلها حديث عن الماضى
يستهلك ما بين أيدينا فيما خلفنا . ولا أود أيها الإخوة أن أحجر على
عقولكم ، فإن هذا لا يقول به عاقل ، وإنما أود — فى هذه السطور —
أن أتحدث عن الأثر الضار الذى تركه هذا الأسلوب فى حياتنا ،
فانصرفنا عن بناء الحاضر والتجهيد للمستقبل إلى أسلوب انطوائى يحيا
فى الماضى بخيره وشره .

وسلوا أنفسكم كم أضعتم من شهور وشهور فى أحاديث تنتقدون

بها أنفسكم وغيركم ؛ يخرج منها الأخ ثقیل النفس ضیق الصدر ، وقد
ألقى بین عینیه ستار جعل المستقبل أمامه مظلماً مرهق الوحشة .
والترجمة الذين يقفون أمام الآثار ؛ يتحدثون عن المجسد القديم
لا يقدمون إلى المستقبل شيئاً ، والخطباء الذين يتألمون من خطأ قائم
لا يقدمون إلى المستقبل شيئاً ؛ إنما يخطط طريق المستقبل من يعرفون
ماضيهم وحاضرهم ، ثم ينتقلون في سرعة وإحكام إلى وضع الخطوط
العملية التي تتحول بها العبرة والتجربة إلى مشروع متكامل يبرز من
بعد حضارة واضحة المعالم ، سليمة الأسس والأهداف .

نحو العلاج

١ - صححوا الفكرة والأسلوب :

(١) وأول شيء - وأعلاه - يجب أن نبدأ به إذا أردنا أن نسير سيراً سليماً إلى الغاية التي رسمها لنا ربنا أن نصحح أفكارنا وأعمالنا على هدى الكتاب والسنة ، ونحاول تطهيرها من الزيف والهوى ، فلا شك في أن مجتمعاتنا بعدت كثيراً عن الإسلام ؛ وأخطر من هذا البعد ، عدم الاعتراف به أو التهوين من شأنه .

ولقد حدث الزهري أنه دخل على أنس بن مالك رضى الله عنه بدمشق وهو وحده يبكي فقال « ما يبكيك ؟ » قال « لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيّعتُ ! » (١) .

(ب) وفي هذا علينا أن نتحرى وجه الحق دون الناس ، فقد ينفر الحق بحرارته أناساً ، والنبي عليه السلام حذرنا من الخضوع لتأثير الناس عند ما سئل عن الشهوة الخفية فقال « هو الرجل يتعلم العلم يحب أن يجلس إليه » (٢) .

(ج) فإذا سلمت لنا نياتنا واتضحت فكرتنا ، كانت مراجعتنا دقيقة شاملة لا تهتم بجانب دون آخر أو على حسابه ؛ فكثيراً ما يؤدي

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ : ص ٢٠٠ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١ ص ١٩ عن يزيد بن أبي

الاهتمام بناحية - أئمة ناحية - على حساب الفهم الكلى إلى الانحراف
عن الطريق السوى ، ولعل هذا من أكبر أسباب نشوء الفرق
الإسلامية .

(د) فصحبوا عقائدكم ، والزمو سنة الدين ، واعتمدوا على
النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجردوا قصدكم لله فيما
تقولون ؛ لتلقوا من الله التسديد كما قال عز وجل « والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » (١) . ووثقوا صلتكم بالعربية
حتى لا تلتبس عليكم وجوه الكلام (٢) .

(هـ) واحذروا القول بآرائكم دون سند من كتاب أو سنة ،
ولقد وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الظاهرة فقال « أصبح
أهل الرأى أعداء السنة ؛ أعيتهم أن يحفظوها ، وتفلت منهم أن
يعوها ، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا لا نعلم ، فعارضوا السنة
برأيهم ، فإياكم وإياهم » (٣) .

وعن العرياض بن سارية رضى الله عنه قال :

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) باختصار من السيوطى : الإنقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٦
(آداب المفسر) .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٣٥ .

« وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ورجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله : كأنه موعظة مودّع فأوصنا . قال « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يمش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » (١) .

٢ - فلنصارح أنفسنا :

(١) من الخير أن نعرف أن صلة الكثيرين منا بكتاب الله ، لازالت محدودة ضيقة ، تنقع بقراءة الورد اليومي ، وقد لا تكلف أنفسنا عناء مراجعة المفردات أو قراءة تفسير ماثور قراءة منتظمة ، فاحصة بتوجيه سليم ، ونحاول أن (نجتهد) في استخراج المعاني دون أن تكون بين أيدينا أدوات الفهم الصحيح ، وكثيراً ما نكتفي بآيات (مختارة) من القرآن لعلها تمثل ناحية أو أكثر من نواحي الإسلام دون تصوير شامل لما يجب على المسلم أن يفهمه ويؤمن به ويعمل له . نحن محتاجون - خصوصاً شبابنا المتعلم - إلى أن نرتب لأنفسنا دراسة منظمة طويلة الأمد ، واضحة الهدف ، تخرج جيلاً من الذين يفهمون دينهم فهماً صحيحاً . وفرق كبير بين أن نجعل محور دراستنا

(١) الرغبة والتزهيّب ج ١ ص ٤٢ رواه أبو داود .

اختيار الآيات (المؤثرة !!) والتفسيرات (الفنية !!) نزين بها الخطب ، ونعشش بها الحفلات ! وبين الدراسة الممتعة التي تحتاج إلى عناء وسهر وتكامل ، لا تستهدف إلا استنقاذ النفس من الجهل وغضب الله دون اهتمام بما يرضى (الجمهور) ، ولعل هذا هو الفرق الدقيق بين تملق الجموع والعمل الخالص لوجه الله تعالى .

(ب) ونحن كثيراً ما نهتف في مجامعنا : القرآن دستورنا . . الرسول زعيمنا . . وأود أن يفرغ كل منكم إلى نفسه حيث لا تطلع عليه إلا عين الله ؛ ويحاول أن يسألها ماذا أحفظ من كتاب الله ؟ ماذا أفهم مما أحفظ ؟ هل راجعت فهمي على كتاب التفسير المأثور والسنة المعتمدة ، أو جمعته من هنا وهناك ؟ هل عملت بما حققت ؟ كم مرة من الشهور والأعوام دون أن أحفظ جديداً ، أو أفهم جديداً ، أو أطبق على حياتي جديداً ؟

هل أعظم جهدي موجه نحو جمع ما يرضى الناس ، أم للعبادة في حياتي نصيب كريم ؟ هل حاولت استكمال نواحي النقص الفكرية والعملية في حياتي أم قعدت بي همي ؟

ولا شك في أن الكثيرين منا سيحسون الهوان . . وكلنا مقصرون ولا شك . ولا يستثنى من التقصير أحد . . ذلك لأنني أود ألا نقيس أنفسنا بمن نعيش بينهم ، وإنما التأسي بالنبي صلى الله عليه

وسلم وأصحابه ، ومنهاجنا نأخذه من الأجيال المؤمنة التي جاهدت من أجل الاسلام فنشرته في العالم ديناً ولغة وحضارة ودولة ، ندافع عنه بالفكر والسيف ، ونغذيه بمداد العلماء ودم الشهداء .

٣ - طريق الحق :

ولاشك في صعوبة هذه الطريق . . ولكن علينا أن نعمل ونصبر . . ولقد تعلم آباؤنا كيف يثبت الواحد منهم على الحق ولو خالف الناس جميعاً :

(١) قال عمرو بن ميمون الأودي :

صحبت معاذاً في اليمن ، فما فارقتُه حتى واريته في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أئمة الناس عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فسمعتُه يقول : عليكم بالجماعة ، فإن يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول : سبلى عليكم ولاية يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فصلوا الصلاة لميقاتها ، فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة .

قال : قلت : يا أصحاب محمد ، ما أدري ما تحدثونا ؟ قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ، ثم تقول صل الصلاة وحدك ، وهي الفريضة ، وصل مع الجماعة وهي نافلة ؟ ! قال : يا عمرو بن ميمون ، قد كنت أظنك من أئمة أهل هذه القرية ، تدري ما الجماعة ؟

قلت : لا . قال : إن جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة . الجماعة

ما وافق الحق ، وإن كنت وحدك (١) .

وفي طريق أخرى إن جمهور الناس فارقوا الجماعة ، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل (٢) .

(ب) وعن الحسن البصري :

السُّنَّة - والذي لا إله إلا هو - بين العالي والجاني . فاصبروا عليها رحمكم الله . فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقي ، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك إن شاء الله تكونوا (٣) .

(ج) والنبي صلى الله عليه وسلم يربنا في اتباع السنة ويحذرنا الأهواء ، والزيف في حديث رائع التصوير :
عن معاوية رضى الله عنه قال :

قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترقُ على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة ، وإنه سيخرج في أمي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلابُ بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله (٤)

(١ و ٢ و ٣) ابن القيم : إغاثة اللهفان ج ١ ص ٧٠ .

(٤) الترغيب والترهيب ج ١ ص ٤٨ رواه أبو داود .

(الكسائب داء يصيب الانسان إذا عضه كلب مصاب بهذا الداء) .
ومن السهل أن تتجارى الأهواء بصاحبها إذا لم تكن عنده
حصانة من الفهم السليم لدينه ، وكيف طبقه أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم على أنفسهم واتباعهم في ذلك سلفنا الصالحون .



٢ - أخلاقنا

وعلى هذا الأساس أود - أيها الإخوة - أن تراجع معاً بعض أخلاقنا - والدين النصيحة - ولقد نقرأ في كتاب الله كيف يعرض ربنا مشكلات المجتمع الإسلامي الأول في مكة والمدينة ، ويعالجها في وضوح لا لبس فيه ولا غموض ، والنبي صلى الله عليه وسلم يصف ديننا فيقول : « تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » (١) .

كيف كانوا يتعاملون ؟ :

والذي ألاحظه في أخلاقنا وعلاقاتنا ، أننا لا نعرف الاتزان الدقيق ، فإذا رضيْنَا عن أحد رفعناه إلى السماء ، وإذا كرهناه هبطنا به إلى أسفل سافلين ، ونسأل الأخ عن ذلك فيقول لك (الإيمان حب وبغض ! !) والفهم الأبرر لهذه السكيات يوقعنا في كثير من الخطأ ، ونحن كثيراً ما نكتفي بأشتات من المعرفة الإسلامية - نجتمعها من الحفلات والقراءات السريعة - لا تصالح بحال لتكوين فكرة سليمة عن الإسلام :

(١) ولعل من أكرم صور الاتزان في الحكم وبعد الأفق

(١) المندري الترغيب والترهيب ج ١ ص ٥٢ رواه ابن أبي عمير في كتاب السنة عن العرياض بن سارية .

وشمول النظرة ، ما قاله أبو داود عن عمر بن أبي قرة قال :

كان حذيفة بالمداثر يذكر أشياء قالها رسول الله صلى عليه وسلم
لأناس من أصحابه في الغضب ، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة ،
فيأتون سلمان الفارسي رضي الله عنهما فيذكرون ذلك له . فيقول :
حذيفة أعلم بما يقول . فيرجعون إلى حذيفة فيقولون له : قد ذكرنا
قولك لسلمان ، فما صدقك ولا كذبتك . فأتى حذيفة سلمان رضي الله
عنهما . فقال : ما يمنعك أن تصدقني فيما سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؟ فقال سلمان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغضب
فيقول في الغضب ، ويرضى فيقول في الرضا . ثم قال : يا حذيفة !
أما تنتهي حتى تورث رجلاً حب رجال ، ورجلاً بغض رجال ، وحتى
توقع اختلافاً وفرقة ؟ ! ولقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطب فقال « اللهم إني ألتزم عندك عهدك ، أيما رجل من أمتي سببته
سُبَّةً أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم ، أغضب كما يغضبون
وإنما بعثتني رحمة للعالمين — فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة » .
والله لتنتهين يا حذيفة ، أو لأكتبن إلى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه (١) .

(ب) وأخرج أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغني أحد عن أحد

من أصحابي شيئاً فأني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» (١) .
 (ج) وعند ما شرح الإمام ابن كثير أحوال المنافقين في المدينة
 في سورة التوبة ، أورد قصة حرمة في الحديث الذي يرويه أبو الدرداء
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلاً يقال له حرمة أتى النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال : الإيماني ههنا . وأشار بيده إلى لسانه ،
 والنفاق ههنا . وأشار بيده إلى قلبه ، ولم يذكر الله إلا قليلاً . فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعل له لساناً ذا كراً وقلباً شاكراً ،
 وارزقه حبى وحب من يحبى ، وصير أمره إلى خير . فقال : يا رسول
 الله : إنه كان لى أصحاب من المنافقين وكنت رأساً منهم ، أفلا آتيك
 بهم ؟ قال : من أنا ما استغفرنا له ، ومن أصر فالله أولى به ، ولا تخرقن
 على أحد سترأ » (٢) .

(د) والله سبحانه وتعالى أمرنا فقال : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا
 كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم
 بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ فكرهتموه .
 واتقوا الله إن الله تواب رحيم » (٣) .

(١) تيسير الوصول ج ٣ ص ٢١٨

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٤ .

(٣) سورة الحجرات : ١٢ . أرجو أن يتدارس الإخوان تفسير سورة
 الحجرات من تفسير ابن كثير .

فكيف يستبيح بعضنا السعى بأخبار بعض ، وإشاعة السوء بين المؤمنين ، وعضية الوقت في الحديث عن فلان وفلان ؟ ! . .

وأنت إذا حدثك أحد إخوانك عن آخر بسوء ، فصارحه من أول الأمر بأنك تريد أن تجمع بينهما ، أو ليندها معاً إلى أخ يرضونه حكماً ، ونقّ مجلسك من سماع السوء وقوله ، وذكر نفسك ومحدثك بما جاء في الكتاب والسنة عن ذلك . . . أما أن يتسرب إلينا ما نهى الله عنه من الغيبة والتميمة والتجسس ، ويستباح باسم مصلحة الدعوة ! ! نهش لحوم الغائبين ، والحوّض في أقدارهم وأعراضهم ، وتجد النفوس الضعيفة ما تتزلف به تحت ستار الغيرة على الجماعة — فهذه أخلاق يبرأ منها الإسلام ولا يعرفها الرجال .

إن الله أنزل هذا الإسلام على الأمة العربية من أول الأمر واختارها لمزايا خاصة . وأنت تقول لمن يحدثك « أعرب عما في نفسك » إذا أردت الإبانة والوضوح . . فهذه أمة وضوح ، وديننا دين وضوح ، لا يضل عنه إلا هالك .

والإسلام لا يعرف الأجواء ذات الأضواء والظلال ، والبسمة المنافقة والوعد الكاذب ، والتمائم في المبتلى ، والتفاهة في الصداقة والخصومة ، وإنما تبرز معادن الرجال في المحن والضيق ، ويتجلى نبيل الخلق حين يشتد الأمر ، ولا يستطيع الإمساك بالحق إلا أهله الأوفياء الذين يعملون بواضح الكتاب والسنة غير فاتنين ولا مفتونين .

لا عصبية :

ولا تستطيع جماعة أن تحيا دون أن يكون في رجالها الجرأة على قول الحق ولو على أنفسهم ، واتباعه غير متأثرين بمنصب أو جاه أو عصبية عمياء .

فعن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله :
ما العصبية ؟ قال « أن تعين قومك على الظلم »^(١) (أخرجه أبو داود)

ولا اتباع بغير دليل :

ونهانا ربنا عن أن يكون عملنا بغير دليل فقال : « ولا تَفْهَمُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »^(٢) وحذرنا سوء المصير في قوله : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير »^(٣) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا يكونن أحدكم إمّعة . قيل وما الإمّعة ؟ قال : الذى يقول أنا مع »

(١) تيسير الوصول ج ٤ ص ٢٤ .

(٢) الإمراء : ٣٦ .

(٣) تبارك : ١٠ .

الناس» (١) وأعطانا ابن مسعود صورة حسية لهذا النوع من الناس فقال «كنا نعد الإمعة في الجاهلية الذي يتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى ، وإن الإمعة فيكم المحقَّبُ الناسَ دينَه» (٢).

القوة والحق :

وينبغي أن يربي شبابنا على ذلك من أول الأمر ، فنحن لا نريد جيلا من الأرقاء الذين ذابت شخصياتهم في آلة ضخمة ، وإنما نريد المسلم القوي الذي يستطيع أن يكون دائماً نقطة بدء في الوعي الإسلامي ، ويحافظ على حيويته ومقوماته ، ويهدف من تعاونه مع شخصيات قوية مثله إلى تكوين الجيل المسلم المرتجي الذي يعمل لدينه ، لا يستخفه انحراف ، ولا يقعد به عجز ، ولا يتلفه غرور .
وإليكم نماذج من تعاون الأقوياء ، وكيف عاشوا على الخلق العالی الذي عجزت عنه فتن الدنيا .

١ — جاء عُيَيْنَةَ بن حصن والأفرع بن حابس إلى أبي بكر رضى الله عنه ، فقالا : يا خليفة رسول الله ، إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلاً ولا منفعة فإن رأيت أن تعطيناها لعلنا نحرقها أو نزرعها ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم . فقال أبو بكر لمن حوله : ما ترونه فيما قالوا ؟ قالوا : إن كانت أرضاً سبخة لا ينتفع بها فزى أن تقطعها

(١ و ٢) راجع مادة (أَمَعَ) في الفائق للزحشرى ج ١ ص ٤٢
المقَّب : المردف .

اعمل الله أن ينفع بها بعد اليوم . فأقطعهما إياها ، وكتب لهما بذلك
 كتاباً وأشهد - وعمر ليس في القوم - فانطلقا إلى عمر يشهدانه
 فوجداه يهناً بعيرآله ، فقالا : « إن أبا بكر يشهدك على ما في هذا
 الكتاب فنقرأ عليك أو تقرأ ؟ قال : أنا على الحال التي ترياني . فإن
 شئتما فاقراء وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ عليكما . قالا : لا . بل
 نقرأ ، فقرأه - فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تغل
 فيه فمجاه ، فتذمرا وقالا مقالة سيئة . فقال : إن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ ليل ، وإن الله عز وجل قد
 أعز الإسلام . إذهبا فاجهدا جهدكما لا رعى الله عليكما إن رعيتهما . قال
 وأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران فقالا : والله ما ندرى من الخليفة !!
 أنت أم عمر ؟ قال : بل هو لو كان شاء - قال : فجاء عمر وهو
 مغضب حتى وقف على أبي بكر ، فقال : أخبرني عن هذه الأرض التي
 أقطعها هذين . أرض هي لك خاصة ، أم بين المسلمين عامة ؟ قال : بل
 هي للمسلمين عامة . قال فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة
 المسلمين ؟ قال : استشرت هؤلاء الذين حولي فأشاروا على بذلك .
 قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك ، أفسل المسلمين أو سعتهم
 مشورة ورضى ؟ قال أبو بكر : قد كنت قلت لك إنك أقوى على هذا
 مني ، لكنك غلبتني^(١) .

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٣٢ ، ٣٣

٢ -- واربطوا هذه القصة بموقف أبي بكر يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وموقفه في بعث أسامة حين أرسلت الأنصار عمر إلى أبي بكر ليحبس الجيش أو ليؤلى عليهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة . فقال أبو بكر : والله لو علمت أن السباع تخر برجلي إن لم أردّه ما رددته ، ولا حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : إن الأنصار أمروني أن أبلغك ، وهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة ؛ فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر ، فقال : ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ! استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أنزعه ؟

فخرج عمر إلى الناس ، فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : امضوا ثكلتكم أمهاتكم ، حسبى ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله (١) .

٣ -- ثم موقفه في حروب الردة حين جاءه عمر يقول : تألف الناس وارفق بهم فقال أبو بكر : رجوت نصرتك ، وجئتني بخذلانك !! أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام ؟ ! إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أو ينقص وأنا حي ! (٢) .

قال عمر رضي الله عنه : فما هو إلا أن رأيت أن الله شرع صدر

(١) أبو بكر الصديق لعلى الطائفاوى س ١٥٩ عن الطبري .

(٢) المرجع السابق س ١٦٣ أخرجه الفسائي .

أبي بكر للقتال حتى عرفت أنه الحق (١) .

فروضوا أنفسهم على قول الحق والخضوع له دائماً ، واعملوا بهذا فيما بينكم ، فإذا نجحتم فحاولوا أن تجمعوا عليه الناس .

الاستمرار :

(١) ولقد لفتنا النبي صلى عليه وسلم إلى ظاهرة بشرية لها خطرها في حياة الأفراد والجماعات ، ووضح لنا النهج السليم حيالها . .
فعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لكل عمل شرّة ، ولكل شرّة فترة - فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك » (٢) .

[الشرّة : النشاط والهمة . وشرّة الشباب : أوله وحدّته ، والفترة : الضعف والانكسار] (٣) .

وكثيراً ما نجد شبابنا مندفعاً إلى العمل في الجماعة اندفاعاً شديداً ، ثم يتولاه بعدُ سأم وانصراف ، ولقد عاجت بعض أسباب هذا الانصراف في الصفحات السابقة ، ولكن هذا الحديث يوضح القاعدة العامة ويبين أن الناس في الفترة قسمان :

(١) أبو بكر الصديق لعلي الطنطاوى ص ١٦٤ في الصحيحين .

(٢) الترغيب والترهيب للعزدي ج ١ ص ٥١ رواه ابن أبي عاصم وابن حبان .

(٣) الفائق للزمخشري ج ١ ص ٦٤٩ ، ج ٢ ص ٢٤٧ .

١ — قسم إذا أُرهِقه العمل وضعف عنه ، انصرف عن النهج الذى كان عليه ، ومال إلى غير السنة . وفى هذا لا يعدم ما يبرر به ضعفه من أسباب ، ويحاول أن يثبت أى شيء إلا ضعفه ويلقى المسئولية على سواء ، وتجده دائماً يائساً يشيع اليأس فيمن حوله ، خوَّاراً يشيع الاستكانة ، ويحجم أخطاء الناس ويهون أخطاء نفسه ، هذا إن اعترف بها !

٢ — وقسم يُقبل على دينه إقبالاً قوياً ، فإذا فتر نشاطه فللاقتصاد ، ولثلا يوقعه الإفراط فى السأم ، فهذه الراحة محمودة .
ولذلك ينبغي أن نكون واضحين حين نفتر عن العمل فنسأل أنفسنا : هل هى فترة إلى السنة أو إلى غيرها ؟

(ب) ويرتبط بهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يأيها الناس : خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ؛ وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل » (١) .

(ج) أما الذين يصطدمون فى الجماعة بما ينكرون ، فالإسلام يقتضيه قول الحق ولو كان مرّاً ، يخاصمون به ويخضعون له ، ويتحملون تبعه ما يؤمنون به . وحين تتحقق بهذا الخلق نستطيع أن

(١) الرغبة والرهيب للعنبرى ج ٥ ص ٨٨ جزء من حديث عن عائشة رضى الله عنها .

تقدم إلى الإسلام الكثير ، فسنكون عوناً لكل أخ على شيطانه ،
ونتهى عن المنكر ونأمر بالمعروف ، ولا نستخذي أمام كبير ، ولا نتجبر
على ضعيف ، فتسلم لنا عقائدنا وقلوبنا ووحدتنا ، ولا يستطيع المنافق
والمترلف أن يجد مجاله بيننا ، ونتقى صنفاً من النفوس الضعيفة والأفئدة
الهواء .



قضايا كلية :

ويمكن - أيها الإخوة - أن تستحضروا في أذهانكم ما تسمعونه في الاجتماعات والحفلات والكثير مما تقرأون في الرسائل المختصرة التي بين أيديكم ، فستجدونها جميعاً قضايا كلية لا تدخل في التفاصيل إلا بقدر محدود . والطابع الغالب على الفترة التي مضت من حياة الإخوان كان جمع الناس على هذه السكيات ، وتوجيههم نحو التطبيق العملي ، ولذلك فائدته في إيجاد تناسق فكري بين العاملين ، والخروج بالمسلمين من مجال اللسان وحده إلى نواح من الحياة العملية ظلت فترة طويلة بعيدة عن واقع حياتهم .

ولكنها لا تكفي :

١ - وليس من المعقول أن تظل الجماعة حية في هذه الدائرة المحدودة .. فهذا إن صح فلن يكون إلا على الصورة الآتية :

أن يحترف أفراد التبشير بهذه السكيات مع خلاف طفيف فيما يقولون .. ويظل واحد منهم ينتقل بها في القطر من أقصاه إلى أقصاه ، وقد يضيف في رحلته إلى محصوله مجموعة من الأحاديث والشروح والقصص تحدث نوعاً من اليقظة الوقتية ، لا تلبث أن تنطفئ . وذلك لأنها غير مؤسسة على منهج متكامل . ويمثل هؤلاء الدعاة - إلى حد

كبير — مظاهر (الثبات) في حياة الجماعة ، بينما يتلقون كل عام أفواجا ، أخشى أن أقول إن عدداً غير قليل منهم لا يستقر في الجماعة ، وذلك لأننا حتى الآن - لأسباب كثيرة : بعضها يتصل بنا وبعضها لا يد لنا فيه — لم نستطع أن نكون البيئات المستقرة التي ينمو فيها الإخوان نمواً متكاملاً .

٢ — وهذا المظهر من التلقى والانصراف يؤثر تأثيراً عميقاً على حياة الجماعة . . فسيظل جهد المسؤولين موجهاً — إلى حد كبير — نحو رعاية المقبلين الجدد ، وتحويل عدد منهم إلى (نقباء) يرعون إخوانهم من ورائهم ؛ مع أن من أدق موازين نجاح الجماعة أن تكون قادرة على الاحتفاظ بأبنائها وإتاحة الفرص لنمو مواهبهم ، وتوسيع مداركهم ؛ ليصبحوا طاقات وعقولا يمكن أن تخدم العقيدة ، وتحول الجماعة — بذلك — من كائن بسيط تستطيع الخلية الواحدة فيه أن تقوم بكل الوظائف الحيوية إلى كائن نام متعدد الأجهزة واضح الهدف .

خطوة واجبة :

١ — لذلك لا بد من أن تتخذ كل الأسباب الممكنة حتى نخطو الجماعة هذه الخطوة ، فننتقل من الحديث عن الكليات والعموميات إلى الدخول في التفاصيل ، وليس هذا الأمر يسيراً يستطيع أن يقول

فيه من شاء ما شاء . . فلا بد من دراسة عميقة سليمة لمصادر الاسلام من الكتاب والسنة وهدى سلفنا الصالحين ، ومن دراسة عميقة للمجتمعات الإسلامية ومشكلاتها ، وتكوين شخصيات لا تستهدف إلا ما عند الله ، وهذه الشخصيات تستطيع تشخيص المرض وتحديد الدواء ، ثم الإشراف على العلاج ، وإعلانه بين الناس .

٢ - وليس في الأرض دولة تستطيع أن تقول إنها الصورة التطبيقية لما جاء به الاسلام ، وفي هذا يجد دعاة الإسلام عنتاً كبيراً ؛ فدعاة الشيوعية وراهم روسيا ومجموعة ضخمة من الدول تدور في فلكها ، وحروب دامية بذلت فيها الأموال والأرواح امتدت من ثلوج الشمال إلى الغابات الحارة . . . ودعاة الغرب وراهم أمريكا وبريطانيا ودول كثيرة يجمعها القيد الذهبي ، ويقف الإسلام فريداً في معركة المبادئ معتمداً على إيمان المؤمنين .

فلا أقل من أن نقيم في عالم الفكر صورة الإسلام الذي نريد ، ونحاول أن نجتمع الناس على تصور عقلي ، ونقدم لهم كتابةً حلول مشكلاتهم .

٣ - فإذا عجزنا عن إقامة هذه الصورة الفكرية ، فنحن عن التطبيق أعجز ، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه .

إن الدين يعملون في الجماعة آمنوا بكليات الإسلام ، فلا حاجة إلى

تكرارها لقوم يؤمنون بها . فلنحفظ هذه الخطوة للإسلام . . ولنا . .
وللناس .

٤ — وأحسن إحساساً — يصل في نفسى إلى مرتبة اليقين —
أن هذه الخطوة من أقصى الامتحانات التى تواجه الجماعة ، وبها سيتقرر
فى وضوح ما إذا كنا نستطيع أن نحفظ بشباب الإخوان للإسلام
أم سيتسرب هذا الشباب كالماء من بين أصابع الجماعة .

علاقة هذه الخطوة بمشكلاتنا :

١ — وأحياناً أسائل نفسى :

لماذا لم نخط هذه الخطوة ؟ ولماذا لم يكتب لنا هجنا التربوية أن
تستمر وقتاً طويلاً ؟

وأجلس إلى إخوانى فأجد حديثاً عن الماضى والمستقبل ، وألمأ من
حاضر ، وتوجساً من أخ عامل ، وتساهل هذه الجلسات من حيوية
الإخوان الشئ الكثير .. فهل نحن نقبل عليها لأنها لا تكلفنا
جهداً بينما تجعلنا نحس أننا بذلنا فى الجماعة جهداً ؟ خاطر أرجو أن
تفكروا فيه ، فلعلنا آثرنا هذا الشيع الكاذب على العمل الجاد ،
وأضعنا الوقت تهرباً من تبعات ثقيلة نجد بأساً فى عملها .

ولاشك أن حالة الفراغ النسبى هذه تؤدى وحدها إلى مشكلات ،
وتفرخ فيها الفتن ، وتتحول طاقات الأفراد إلى تفاهات لا تجدى ،

يظنونها تقريراً لمصير الجماعة ، وتخطيطاً لمراحل سيرها .

٢ - وراجعوا تاريخكم تجدوا واقعة ترجح هذه النظرية :

(١) فقد كانت لنا موجة نشاط في معركة فلسطين بين عامي ١٩٣٦ - ١٩٣٨ م ، وما كادت تنتهي موجة النشاط حتى انصرفنا إلى مشكلاتنا ، وانتهى الأمر بخروج مجموعة من الصف الأول في الجماعة كونوا جماعة شباب محمد .

(ب) واشتد علينا الضغط في أوائل الحرب العالمية الثانية وأغلقت شعب الإخوان ، وأقبل الناس علينا ، وما كادت تنتهي الحرب حتى انصرفنا إلى مشكلاتنا ، وفصل من الإخوان الوكيل الأول والثاني ونفر من أعضاء الهيئة التأسيسية .

(ج) ورحمنا ربنا بحملة فلسطين ، فاتجهت إليها الجهود ، ثم فتحت لنا المعتقلات والسجون أبوابها ، وما كدنا نخرج منها حتى شغلتنا معركة القنال ، وفرغنا من معركة القنال لنلتنفث إلى مشكلاتنا الداخلية ، وانتهى الأمر - كما سبق - بفصل مجموعة من الصف الأول من الجماعة .

ونستطيع أن نتلصق أسباباً لكل حالة من هذه الحالات إذا أردنا ، ولكن لماذا أتت جميعاً على هذا النسق ؟ هل لهذا علاقة بالحديث الشريف الذي مر ذكره : « إن لكل شريرة فترة » ؟ !

وهل نحن جميعاً ضحايا أوضاع ينبغي أن نحرر الجماعة من أسرها ؟
وهل نحن نشغل أنفسنا بهذه المشكلات لأننا لا نقدر على غيرها ؟

٣ — ولكم أن تتابعوا الأمر دراسة : فهذه الظروف التي جمعت صفنا من معارك فلسطين والقنال وظروف الحرب ، لم تكن كلها من صنع أيدينا وإرادتنا ؟ أي أنها — إلى حد كبير — كانت مفروضة علينا ، وهي التي ارتفعت فيها أسهم الإخوان ودوى اسمهم في العالم . بينا المشكلات من صنع أيدينا ، وهي التي أرهقتنا من أمرنا عسراً ، من هذا كله أحس — أيها الإخوة — أن من الواجب علينا — إذا أردنا الحياة — أن نوجد المجال الحيوى الصالح لكل من يعمل في الجماعة ، وبذلك نصبح مجموعة من العاملين الذين إذا التقوا تحدّثوا عن عمل ، وإذا انصرفوا إلى عمل ؛ فلعل أمة تتكون منا يهدون بالحق وبه يعدلون .

التربية المتكاملة :

وحين يصبح هذا منهاجنا الحيوى ؛ سنحدد نظرنا إلى الناس وزنهم بميزان دقيق ، ونراجع القيم التي نعيش بها مراجعة لا يرجح فيها إلا الحق ، ولا نسمح بالتقدم في صفوف الجماعة وتحمل مسؤولياتها إلا لمن يعبر عن دينه تعبيراً صادقاً في فهمه وعلمه وعمله ، وتاريخنا حافل بهذه النماذج المتكاملة :

١ - فلقد كان سالم مولى أبي حذيفة رضى الله عنهم - من أحسن الناس صوتاً بالقرآن . فعن عائشة رضى الله عنها قالت « استبطنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال ما حبسك ؟ قلت : إن فى المسجد لأحسن من سمعت صوتاً بالقرآن ، فأخذرداءه ، وخرج يسمعه ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة . فقال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك » (١) .

هذا القارىء الممتاز كان عتيقاً . وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي عبيدة عامر بن الجراح أمير هذه الأمة . ويروى الواقدي عنه : « لما انكشف المسلمون يوم اليمامة قال سالم مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خفر لنفسه حفرة فقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ ، ثم قاتل حتى قتل شهيداً سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، فعل هذا بعد أن شهد بدرأ والمشاهد » (٢) .

٢ - ويروى الذهبي عن الصحابي الجليل شقيق أبي وائل رضى الله عنه : « كان ... إذا خلا ينشج (يبكي بصوت وتوجع) ولو جعل له الدنيا على أن يفعل ذلك وأحد يراه لم يفعل ، وكان له 'خص' يكون فيه هو وفرسه ، فإذا غزا نقضه ، وإذا رجع بناء » (٣) .
فهنا نجد طاقة رائعة من العبادة والعكوف على كتاب الله ، والجهاد

(٢١) تاريخ الذهبي ج ١ ص ٥ - ٣٦٦ .

(٣) نفس المرجع ج ٢ ص ٢٥٦ .

الغيف المرق . ولم يحاول هذا الجيل — وحاشاه أن يفعل — أن يوفر جهوده على القرآن دون جهاد أو يكتفى بالجهاد دون علم ، وإنما أخذ الإسلام — كما تلقاه — كلاً لا يتجزأ ، ووجدت روحه القوية مجالاتها في المحراب والميدان معاً .

٣ — هذه الأرواح القوية ، والتربية الناضجة ، دفعت آباءنا إلى التجرد لأمر الدين ، فصاغوا حياتهم على أساسه ، وتوفروا على خدمته والدفاع عنه ، ولم يرضوا بأنصاف الحلول وأرباعها ، أو تغيير حكم من أحكام الله أو كتم ما يعتقدون أنه الحق .

ومن الأمثلة السكرية على ذلك ما رواه ابن كثير^(١) عن العالم الجليل أحمد بن نصر وموقفه في محنة خلق القرآن أمام الواثق الخليفة العباسي . . « وكان أحمد ممن يدعون إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق^(٢) . وكان الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن . فقام أحمد يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد ، والتف عليه ألوف ، وانتظمت له البيعة في السر على القيام بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعندما افتضح أمره استدعاه الواثق . . وكان أحمد قد استقل وباع

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٠٣ — ٣٠٦ .

(٢) وهي عقيدة سلفنا الصالحين وأهل السنة والجماعة .

نفسه وحضر وقد تخطط وتنور (تطيب استعداداً للموت) وشد على عورته ما يسترها . وسأله الوراق : ما تقول في ربك ، أترام يوم القيامة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد جاء القرآن والأخبار بذلك : قال الله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » وسأله : ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله . قال : أمخلوق هو ؟ قال هو كلام الله ، وتدفع أحمد بن نصر في هذا الموقف الرهيب بين السيف والنطع يتلو الآية بعد الآية ، والحديث بعد الحديث ، وتكاتف عليه علماء الخليفة يحرضونه على العالم الأعزل . وهوى سيف الوراق على رأس أحمد وهو يردد كلمة التوحيد ، وقال عنه الإمام الجليل أحمد بن حنبل رحمه الله : « ما كان أسخاه بنفسه لله . لقد جاد بنفسه له !! » .

٤ - ومر أحمد بن حنبل في هذه المحنة : دعوه إلى القول بخلق القرآن ، وأمر المأمون بإحضاره ، فلما اقتربوا من جيش الخليفة ، جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول : يعزّ على يا أبا عبد الله أن المأمون قد سلّ سيفاً لم يسأه قبل ذلك ، وإنه يقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف . قال : جئنا أحمد على ركبتيه ، ورمق بطرفه إلى السماء ، وقال : سيدى ! غرّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم فإن يكن القرآن كلامك

غير مخلوق فاكفنا مؤنته . قال : فجاءهم الصريح بموت المأمون
في الثلث الأخير من الليل . قال أحمد : ففرحنا » .

وسجن أحمد في زمن المعتصم وأحضره وقد زادوا قيوده . قال
أحمد : فلم أستطع أن أمشي بها ، فربطتها في التسكة ، وحملتها بيدي .
ثم جاءوني بدابة فحملت عليها . فكدت أسقط على وجهي من ثقل
القيود ، وليس معي أحد يمسكني ! وبات أحمد في الحبس ثم أحضره
إلى الواثق ، وناظر من عنده من العلماء ثلاثة أيام يقيم عليهم الحجة ،
ولا يترشح عن موقفه ، حاملاً علمه في صدره ، متمكناً من الكتاب
والسنة ، غير كاتم شيئاً رغبة أو رهبة . . . وأخيراً جاءوا الخليفة من
ناحية السياسة العامة ، فقالوا له « ليس من تدبير الخلافة أن تخلى
سبيله ويغلب خليفتي » !!! وأخذوا أحمد وجردوه من ثوبه وضربوه
بالسياط حتى أغشى عليه مراراً وحملوه مغشياً عليه بعد ضرب مرهق !
حدث هذا وهو صائم فأصرّ على إكمال يومه صائماً ، وصلى في دمه .
ومضت فترة ، وقام أحمد من مرضه وصفح عمن آذاه إلا أهل البدع .
وكان يقول : « ماذا ينفعك أن يعذّب أخوك المسلم بسببك ؟ ! » ورحم
الله بشراً الخافي في تعقيبه على المحنة إذ يقول « أدخل أحمد الكبير
خروج ذهباً أحمر » (١)

(١) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٢٥ — ٣٤٢ .

هذه النفوس - أيها الإخوة - ثمار تربية كريمة على هدى الكتاب والسنة ، تملقها السلطان فما لانت ، واشتد عليها البطش ، فما وهنت وما ضعفت ، وجمعت من العلم الكثير ، ورضيت من الدنيا القليل ، وعبدت ربها بالدعوة إليه والجهاد في سبيله والدفاع عن دينه ، وعاشت بخلق أبيّ لم تستطع الشهوات أيا كانت أن تعالوه .

فهل تستطيع مناهجنا أن تستهدف هذه الغاية ، وأن توجد الجليل المسلم الذي يعرف الحق ويتبعه ، ويقول للحسن أحسنت وللمسيء أسأت ، وهذا طريق الإحسان ؛ لا يسيل لعابه إذا رأى الذهب ، ولا يضطرب إذا رأى السيف ؟ ؟

نحن محتاجون إلى هذا النهج المتكامل الذي ينتزعنا من خمول عمتص حيويتنا ، وكسل يشل جهودنا ، وتواكل يكاد يدمر حاضرنا ، وتفاهات توشك أن تأتي على كل ما بناء العاملون .

عقلية المناظرات :

١ - وأحيانا يحلو لبعض الذين يعملون أن يقارنوا بين نواحي العمل وأهميتها النسبية ، ويتساءلون : أيهما أولى بالاهتمام : الجهاد أم العلم ؟

وكأنه لا يجاهد إلا الجاهل ، ولا يتعلم إلا الجبناء ، ولا يجمع بينهما أحد !!

٢ - واسمحوا لى - أيها الإخوة - أن أناقش هذا الأسلوب من التفكير ، فعلننا ورثناه عن شبابنا المبكر حينما كنا نؤمر بكتابة موضوعات إنشائية فى مدارسنا تقوم على المفاضلة ، مثل : أيهما أكثر تأثيراً فى الأمة : رجال العلم أم رجال الأدب ؟ ، أيهما أكثر تأثيراً فى الطفل : أمه أم أبوه ؟ ورسب هذا الأسلوب فى عقولنا مدة حتى عملنا فى الإخوان فجاء يفرض نفسه علينا مرة أخرى لنجرى مناظرة بين الجهاد والعلم .

٣ - وما أود أن يتعصب كل منا لناحية عاش فيها أكثر من غيرها ، فأصبح لا يرى الدنيا إلا بمنظارها . فهذا باب خطر يؤدى إلى فرقة ولا ينفع فى حله جلسات الصالح الشكلى الذى لا يتناول جوهر المسائل .

فطلب العلم والجهاد فرائض لا يجارى فيها مسلم سلم له دينه ، وينبغى علينا أن نؤمن بالإسلام كلاً لا يتجزأ ، وأن نعد أنفسنا فندفع عن ديننا بالعلم والعمل .

٤ - ولكن الأفراد حين يعملون يحسون أنهم يستطيعون خدمة دينهم فى ناحية أكثر من أخرى دون انحراف عن الفهم الكلى أو مبالغة فى أهمية الثغرة التى يقفون عليها أو تهوين من ثغرة لا يتصلون بها . وعلى هذا عاش أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : اتضحت فى نفوسهم أصول الدين وقواعده ، وطبقوا أمره على نواحي

حياتهم ، وعبدوا ربهم في جوف الليل ووضع النهار . . وسالت
دموعهم من خشية الله ، واقتحموا غبار المواقع ، ووجد كل منهم مجالا
برزت فيه مواهبه : غفالد في القيادة ، وأبو هريرة في الحديث ، ومعاذ
في الفرائض ، وأبي بن كعب في القرآن ، وتميز منهم أفراد موهوبون
في أكثر من مجال ، كأبي بكر في الأنساب والإدارة ، وعلى في
الحرب واللغة . وما نعرف أنهم كانوا يتناظرون في أهمية القيادة بالنسبة
إلى الحديث والفرائض والتلاوة ؟ !

٥ - فلنحاول - أيها الإخوة - حين نعمل ، أن نحرر عقولنا
من هذه القيود الفكرية ، وأن نكون لأنفسنا منطقاً إسلامياً سليماً
يتصل اتصالاً مباشراً بالعهد الزاهر الأول الذي كشف فيه وجه
الصحراء عن عبقریات كان الإسلام أصلح تربة لإنباتها .
وبعد : . . .

فهذه خطوط عامة مجملة ، قد يكون فيها الكثير من الحق المر
والعمل المرهق . . فإن يكن فيها خير فمن الله ، وإن يكن غير ذلك
فمن الشيطان . .
وستأتي بعدها رسائل يتناول فيها قسم الأسر هذه الموضوعات
بكثير من التفصيل .

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً »

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »

الفهرس

صفحة

٣	مقدمة
٥	الإخوان والمجتمع
١٣	الإسلام بين القوى الاستعمارية
٢٣	خطوط عملية
٢٦	أسباب الفتور
٣٢	نحو العلاج
٣٩	أخلاقنا
٥٠	مناهجنا

مطبوعات قسم الأسر

* الرسالة الأولى : نظام الأسر : نشأته وأهدافه

(قدت)

* الرسالة الثانية : من آداب الأسرة والكتيبة

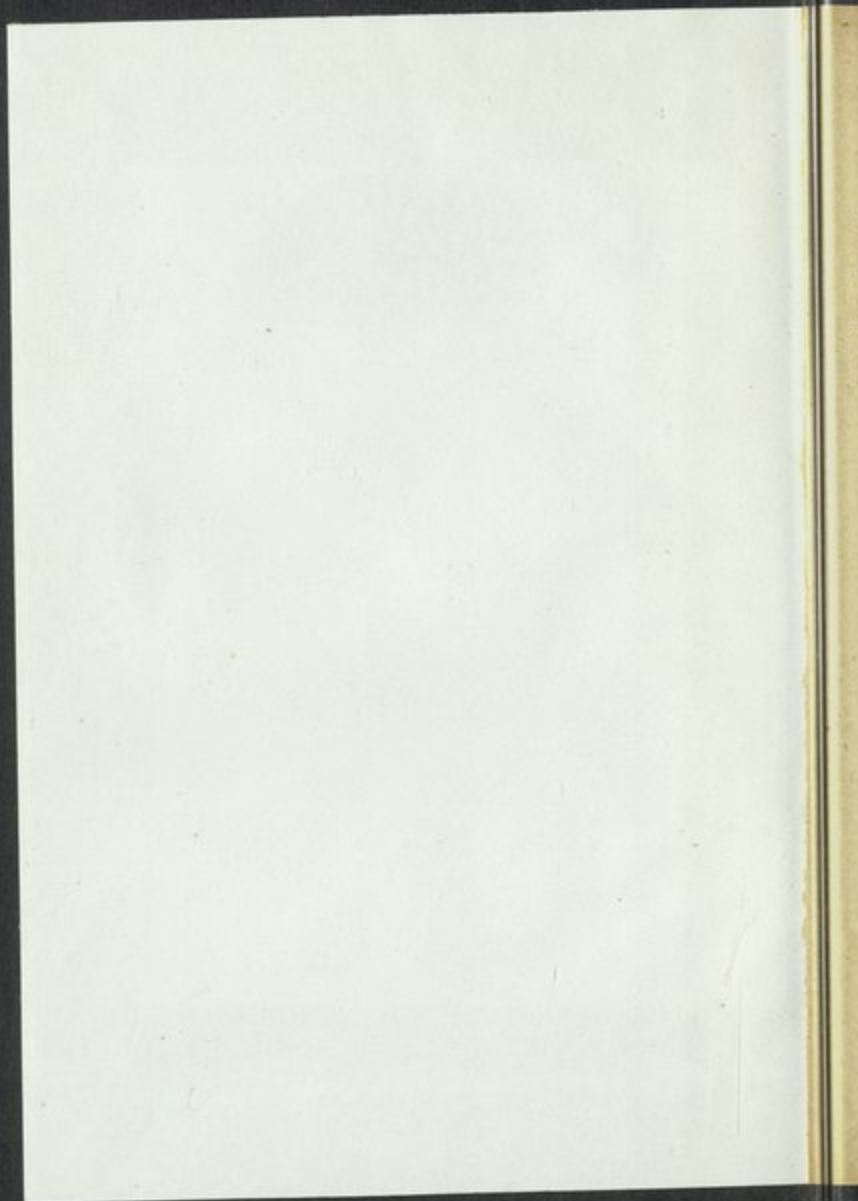
(قدت)

* الرسالة الثالثة : نحو جيل مسلم

(بين يديكم)

* الرسالة الرابعة : ؟ ؟ ؟

(تصدر قريباً)



QUB. LIBRARY

DATE DUE

[illegible]

AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00496244

